كتاب فضائل بغداد

لِيَزْدَجِرْد بن مَهْمَنْدار الفارسيّ

١ — تمهيد

قيل في صفة بغداد قديمًا ، انها أمّ الدنيا ، وسيدة البلاد ، وجنّة الأرض ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومعدن الظرائف واللطائف . ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها : سعةً وكبراً وعمارة ، وكثرة مياهٍ ، وصحة هواءٍ ، ولأنه سكنها من أصناف الناس ، وأهل الأمصار والكور ، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم ، فليس من أهل بلد الا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرّف ، فاجتمع بها ما ليس في مدينةٍ في الدنيا . ثم يجري في حافتيها النهران الأعظمان : دجلة والفرات ، فيأتيها التجارات والميرة براً وبحراً بأيسر السعي ، حتى تكامل بها كلّ متجر يحمل من المشرق والمغرب ، فانه يُحمل اليها من الهند والسند والصين والتُبت والترك والدّيلم والخزَر والحبشة ، وسائر البلدان ، حتى يكون بها من تجارات البلدان أكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها ، ويكون مع ذلك أوجد وأمكن ، حتى كأنما سيقت اليها خيرات الأرض ، وجُمعت فيها ذخائر الدنيا ، وتكاملت بها بركات العالَم [2] .

قال دهقان بغداد لأبي جعفر المنصور حينما خرج يرتاد موضعًا يبني فيه مدينة : « الذي أراه يا أمير المؤمنين ان تنزل في نفس بغداد ، فانك تصير بين أربعة طساسيج : طسوجان في الجانب الغربيّ ، وطسوجان في الجانب الشرقيّ ، فاللذان في الغربي : قَطرَبُّل وبادوريا ، واللذان في الشرقيّ نهر بوق وكلواذى . فان تأخر عمارة طسوج

(١) كتاب رسوم دار الخلافة تأليف هلال بن المحسن الصابيّ ، أعددناه للنشر منذ زمن ، بعد أن حققناه وعلقنا عليه وألحقنا به ملاحق منوّعة نشرنا عدداً منها في بعض المجلات .

(٢) البلدان لليعقوبي (ص ٢٣٣ — ٢٣٤ ؛ طبعة دي غويه)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منها ، كان الآخر عامراً . — وأنت يا أمير المؤمنين على الصّراة ، ودجلة تجيئك بالميرة من القرب ، وفي الفرات من الشام والجزيرة ومصر وتلك البلدان . وتحمل اليك طرائف الهند والسند والصين والبصرة وواسط في دجلة ، وتجيئك ميرة أرمينية وأذربيجان وما يتصل بها في تامرّا وتجيئك ميرة الموصل وديار بكر وربيعة . وانت بين أنهار ، لا يصل اليك عدوُّك إلا على جسرٍ أو قنطرةٍ . فاذا قطعت الجسر والقنطرة لم يصل اليك عدوُّك ، وأنت قريب من البرّ والبحر والجبل . فأعجب المنصور هذا القول وشرع في البناء . ووجه المنصور في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط فأحضروا[1]

وبغداد الى كلّ ذلك تقع في الاقليم الرابع ؛ وهو الاقليم الأوسط الذي يعتدل فيه الهواء في جميع الأزمان والفصول ، فطاب الثرى ، وعذُب الماء ، وزكت الاشجار ، وطابت الثمار ، وأخصبت الزروع ، وكثرت الخيرات ، وقرُب مستنبط معينها . وباعتدال الهواء وطيب الثرى ، وعذوبة الماء : حسنت أخلاق أهلها ، ونضرت وجوههم ، وانفتقت أذهانهم ، حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والأدب والنظر والتمييز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكلّ مناظرة ، وإحكام كل مهنة ، وإتقان كلّ صناعة . فليس عالم أعلم من عالمهم ، ولا أروى من راويتهم ، ولا أجدل من متكلمهم ، ولا أعرب من نحويهم ، ولا أصح من قارئهم ، ولا أمهر من متطببهم ، ولا أحذق من مغنيهم ، ولا ألطف من صانعهم ، ولا أكتب من كاتبهم ، ولا أبين من منطيقهم ، ولا أعبد من عابدهم ، ولا أورع من زاهدهم ، ولا أفقه من حاكمهم ، ولا أخطب من خطيبهم ، ولا أشعر من شاعرهم ، ولا أفتك من ماجنهم[2] .

فليت شعري ، بلد تلك صفاته وخيراته ، وهذه محاسنه وفضائله ، ألا يكون فتنة الشعراء والكتاب .

قال الشاعر :[3]

بغداد يا دار الملوك ومُجتني صنوف المنى يا مستقر المنابر

(١) معجم البلدان [١ : ٦٨٠ — ٦٨١ ؛ طبعة وستنفلد] (٢) البلدان لليعقوبي ص ٢٣٤ - ٢٣٥] (٣ معجم البلدان [١ : ٦٨٦]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويا جنة الدنيا ويا مجتنى الغنى ومنبسط الآمال عند المتاجر

أما المؤرخون وكتبة التراجم ، فقد غلوا في عنايتهم ببغداد ، وفاقوا الشعراء والأدباء بكثرة ما صنفوه من الكتب والرسائل في أخبارها وتراجم رجالها وعمرانها وما جرى فيها من الحوادث الكبار والوقائع العظام والانقلابات العجيبة . وذيل بعضهم على كتب بعض ، فتعدّت الأربعين مؤلفاً ، منها ما هو في غير مجلد . والذي سلم منها نسخ كاملة او أجزاء من اثنين وعشرين كتاباً ، نذكر منها :

كتاب بغداد : لأبي الفضل احمد بن أبي طاهر المعروف بـ (طيفور) (المتوفى سنة ٢٨٠ للهجرة) . وهو أقدم تاريخ وضع لمدينة بغداد .

تاريخ بغداد مدينة السلام: للحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ).

تذييل تاريخ بغداد : لأبي سعد السمعاني (٥٦٢ هـ) .

ذَيل تاريخ مدينة السلام بغداد : لأبي عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي الواسطي (٦٣٧ هـ) . جعله ذيلاً على تاريخ بغداد لأبي سعد السمعاني ، الذي ذيل به تاريخ بغداد للخطيب .

ذيل تاريخ بغداد ويسمى أيضاً التاريخ المجدّد : للحافظ محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي (٦٤٣ هـ) ، وهو ذيل عظيم على تاريخ بغداد للخطيب .

تراجم علماء بغداد : لأبي الخير نجم الدين سعيد بن عبد الله الدِهليّ (٧٤٩ هـ)

* * *

ويا لهفي على الكتب الأُخرى التي ضاعت ولم يصل الينا منها غير اسمائها ، أو فقرات منها متناثرة في كتب الأدب والتاريخ والبلدان وغيرها . أو فصل نقله مؤرخ أو بلدانيّ الى مصنفه . كما صنع هلال بن المحسن الصابئ (المتوفى سنة ٤٤٨ للهجرة) إذ استلّ فصلاً خطيراً من كتاب « فضائل بغداد العراق » تصنيف يَزْدَجِرْد بن مهمندار الفارسيّ ، تناول فيه يَزْدَجِرْد حمامات بغداد أيام بني العباس وما قيل فيها من اقوال ومبالغات . وها نحن أولاء ننشره فيما يلي من هذا المقال .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ — مَن ذكر كتاب « فضائل بغداد » وصاحبه (يَزْدَجِرْد الفارميّ)

أقدم نبأٍ وقفنا عليه بشأن هذا الكتاب وصاحبه ، ما حكاه القاضي ابو علي المحسن التنوخي (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) . قال:[1] تجارينا عند القاضي أبي الحسن محمد ابن صالح بن علي الهاشمي بن أُم شيبان في سنة ستين وثلثمائة ، عِظم بغداد و كثرة أهلها في أيام المقتدر ، وما كان فيها من الأبنية والشوارع والدروب ، و كبر البلد و كثرة أهله في سائر انواع الناس . وذكرتُ انا كتاباً رأيته ؛ لرجل يعرف بيزْدَجِرْد بن مهبندان الكسرويّ ، كان على عهد المقتدر ، بحضرة ابي محمد المهلبي كان سلم إليّ والى جماعة ممن حضر ، كراريس منه لننسخه ونتفذه الى الأمير ركن الدولة ، لأنه التمس في وصف بغداد وإحصاء ما فيها من الحمامات ؛ وانها كانت عشرة آلاف ، وكثير من الكتاب يبلغها ، وعدد من يحتوي عليه البلد من الناس والسفن والملاحين ، وما يحتاج اليه في كل يوم من الحنطة والشعير والأقوات ، وانه حصل ما يصل الى أصحاب المعابر فيه من الثلاجين في كل يوم : اربعون الفاً ، او ثلاثون الفاً . — وذكر غيري كتاباً الفه احمد بن الطيب في مثل هذا ، فقال لي القاضي ابو الحسن : اما ذاك فعظيم لانعلمه[2] ، وقد شاهدنا منه ما لا يستبعد معه ان يكون كما أخبر يَزْدَجِرد واحمد بن الطيب ، إلا انا لم نحصه فنقطع العلم به ...»

وممن ذكره أيضاً ابن النديم (المتوفى نحو سنة ٣٨٥ هـ) . قال : « يزدجرد بن مهبندان الكسرويّ : في أيام المعتضد . وله من الكتب : كتاب فضائل بغداد وصفتها ، كتاب الدلائل على التوحيد من كلام الفلاسفة[3] » .

أما الحاج خليفة فقد ذكره غير مرّة . قال في مادة « تاريخ » : (وصنف أبو سهل يزدجرد بن مهاندار الكسرويّ كتاباً حسناً في صفة بغداد ، وعدد سككها

(١) نشوار المحاضرة [١ : ٦٤ — ٦٥] (٢) في كشف الظنون [٤ : ٤٦٧ ، طبعة فلوجل] = [٢ : ١٩٨ ، طبع استانبول] ما هذا نصه : « فضائل بغداد وأخبارها : لأبي العباس احمد بن محمد السرخسيّ الطبيب ، مات سنة ٢٨٦ » . ونعتقد ان هذا الكتاب ، هو الذي عناه التنوخي ها هنا .

(٣) الفهرست (ص ١٢٨ ، طبعة فلوجل) = [ص ١٨٥ ، طبع مصر]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحماماتها ، وما يحتاج اليه في كل يوم من الأقوات والأموال ، ذكره الصفدي[١] »
ثم عاد ثانية فذكر اسمه فقط بـ « فضائل بغداد[٢] »

* * *

٢ — لفظة « مهمندار »

وردت هذه الكلمة على غير شكل ، منها : « مهبندان[٣] » و « مهنبداد[٤] » و « مهنبدان[٥] » و « مهاندار[٦] » و « مهمندار[٧] » .

وعندنا انّ أصحّ الروايات هي الشكل الأخير ؛ أي « مهمندار » . والكلمة فارسية الأصل تعني وظيفة قديمة ، عرّفها القلقشندي[٨] بقوله : « المهمندار : هو الذي يتصدى لتلقي الرسل والعربان الواردين على السلطان ، وينزلهم دار الضيافة ، ويتحدث في القيام بأمرهم . وهو مركب من لفظين فارسيين ؛ أحدهما (مَهمن) بفتح الميمين ومعناه الضيف ، والثاني (دار)[٩] ومعناه : مُمسك . ويكون معناه (مُمسك الضيف) . والمراد المتصدّي لأمره » ا هـ .

* * *

٤ — فصلٌ من كتاب « فضائل بغداد العراق »

قال هلال بن المحسن الصابئ[١٠] في عرض كلامه على أحوال دار الخلافة العزيزة : « فأما بغداد في أيام العمارة ، فانه وقع في يدي كتاب يذكر مافي ايام

(١) كشف الظنون [٢ : ١٢٠ — ١٢١ ، فلوجل] = [١ : ٣٢٢ ، استانبول] = [١ : ٢٨٨ ، طبعة وزارة المعارف التركية سنة ١٩٤١] . (٢) كشف الظنون [٢ : ١٦٥ ، فلوجل] = [١ : ٢٣٩ ، استانبول] = [١ : ٣٢٤ : طبعة وزارة المعارف التركية] . (٣) نشوار المحاضرة [١ : ٦٥]
(٤) كشف الظنون [١ : ٢٨٨ ، وزارة المعارف التركيه] (٥) الفهرست لابن النديم [ص ١٢٨ ، فلوجل] = [ص ١٨٥ ، مصر] (٦) كشف الظنون (٢ : ١٢٠ ، فلوجل] (٧) صبح الأعشى [٥ : ٤٥٩] ، وكشف الظنون [١ : ٣٢٢ ، استانبول] (٨) صبح الأعشى [٥ : ٤٥٩]
(٩) قال القلقشندي في معنى (دار) : [صبح الأعشى ٥ : ٤٥٧] : هي لفظة فارسية معناها (مُمسك) ، فاعل من الإمساك . وكثير من كتاب الزمان أو أكثرهم ، بل كلهم يظنون انّ لفظ (دار) في ذلك عربي بمعنى (المحلة) ، كدار السلطان أو الأمير ونحو ذلك . (١٠) رسوم دار الخلافة [ص ١٩ ، المخطوط]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المعتضد بالله صلوات الله عليه وذلك بعد فتنة الأمين رحمة الله عليه ، التي احرقت وهدمت صدراً كبيراً منها ، وأثرت الآثار القبيحة[١] فيها ترجمته :

كتاب فضائل بغداد العراق ، تأليف يزدجرد بن مهمندار الفارسي ، لأمير المؤمنين المعتضد بالله ، صلوات الله عليه . قال فيه :

« قد أكثر الناس في بغداد العراق إكثاراً ، لم يعطونا فيه دليلاً ولا أفادونا به محصولاً ، واقتصروا على ان يقولوا ، بلدٌ لا يُشبه البلدان ، ولا كان مثله في قديم الأزمان[٢] . فإن من أقل مافيه ، انه يشتمل على مائتي الف حمام[٣] ؛ الى

(١) حلّ ببغداد غير نكبة ، وكان من أفظعها وأشدها فتكاً وتخريباً : فتنة الأمين ، حين حاصر بغداد طاهر بن الحسين صاحب جيش المأمون فقد ساءت حال الناس ، ووثب على أهل الصلاح : الدعار والشطّار فمز الفاجر ، وذل المؤمن ، واشتد القتال حتى خربت الديار ، وعفت الآثار ، وغلت الاسعار ، وانتهبت الأموال ، وقتل الأخ أخاه ، والابن أباه . هؤلاء محمدية وهؤلاء مأمونية . وعملت النيران والنفط والمنجنيقات والعرّادات في كل جهة وسكة ومنزل ، فقتل بها المقبل والمدبر . فكثر الخراب والهدم حتى درست محاسن بغداد جنة الدنيا ، واشتدّ الأمر ، وتنقل الناس من موضع الى موضع ، فعم الخوف . ففي ذلك يقول عمرو بن عبد الملك العتري الورّاق (الطبري ٣ : ٨٧١ ، ٩٣٩ — ٩٤٠) ، ومروج الذهب [٦ : ٤٥٦] :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين	ألم تكوني زماناً قرّة العين
ألم يكن فيك أقوام لهم شرف	بالصالحات وبالمعروف يلقوني
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم	وكان قربهم زيناً من الزين
صاح الزمان بهم فالبيْن فاقترضوا	فما الذي فجعتني لوعة البين
يا من يُخرّب بغداداً ليعمرها	أهلكت نفسك مابين الطريقين

(٢) قال الخطيب البغدادي [المقدمة الخططية لتاريخ بغداد ص ٧٦ — ٧٧ ، طبع باريس] : « لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها ، وفخامة أمرها ، وكثرة سكانها وأعلامها ، وتميز خواصها وعوامها ، وعظم أقطارها ، وسعة اطرارها ، وكثرة دورها ومنازلها ، ودروبها وشوارعها ، ومحالها وأسواقها ، وسككها وأرقتها ، ومساجدها ، وحماماتها ، وطرقها ، وخاناتها ، وطيب هوائها ، وعذوبة مائها ، وبرد ظلالها وأفيائها ، واعتدال صيفها وشتائها ، وصحة ربيعها وخريفها ، وزيادة ماحصر من عدة سكانها . وأكثر ما كانت عمارة وأهلاً في أيام الرشيد إذ الدنيا قارة المضاجع ، دارة المراضع ، خصيبة المراتع ، موردة المشارع ، ثم حدثت بها الفتن ، وتتابعت على أهلها المحن ، فخرب عمرانها ، وانتقل قطانها ، إلا أنها كانت قبل وقتنا والسابق لعصرنا على ما بها من الاختلال والتناقص في جميع الأحوال ، مباينة لجميع الأمصار ومخالفة لسائر الديار » . (٣) عقدنا فصلاً قائماً بذاته في هذا الشأن ، أسميناه : [حمامات بغداد في العصر العباسي] لم ينشر بعد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الضعف ، ومن المساجد[1] والطرازات[2] كذلك الى ما هو متضاعف . فاذا أخذوا ، أو اكثرهم بإيراد الحجة ، وإقامة الدلالة ، لم يأتوا بقول محصل ، وبرهان معوّل ، ونحن نفتتح القولَ باتباع أعدل الأحكام ، وأقرب الأمور الى الافهام ، ولا نقول كالذي قالوه في عدد الحمامات ، واعتقدوه في المنازل والمساجد والطرازات ؛ اشفاقاً من هجنة الاسراف على السامعين ، فانا اذا وجدنا كثيراً من الخاصة والعامة مذعنين بعدّة الحمامات . وانها مائتا الف حمام ، دون ما فوقها من الزيادات . ثم قال آخرون : بل هي مائة وثلاثون الف حمام ، كما قالوا مائة وعشرون [الف] ، وبه قال الشاه بن ميكال ، وطاهر بن محمد الطاهري . ثم قالوا من قبل ومن بعد بما زاد على المائة [الف] وبما انتقص منها ؛ قرّرنا اختلافهم على حدٍ نرجوه عدلاً متوسطاً ، وحكماً متقبلاً ، واقتصرنا من عدد الحمامات على ستين الف حمام ؛ استظهاراً ، وجعلنا العلة في ذلك ان نأخذ وسط ما ذكروه من أعدادها ، وما وجدنا الخاصة ، وأكثرهم يدعيه في اعتقادها ، وهو مائة وعشرون الف حمام ، فاقتصرنا على النصف من المائة والعشرين ، لئلا يقبح في التقدير او تضيق عن قبوله الصدور . ثم نظرنا في قدر ما يحتاج اليه كلّ حمام من القوّام[3] الذين لا قوام له إلا بهم ؛ فوجدنا الحمام محتاجاً الى ستة نفرٍ هم : صاحب الصندوق ، والقيم ، والوقاد ، والزبّال ، والمزين ، والحجام ، وربما أطاف بالحمام ضعف هذا العدد ، ولكنا ركبنا سنن[4] الاستظهار في معنانا هذا ، فاذا

(١) نقل الخطيب البغدادي (المقدمة الخطية ص ٧٤ — ٧٥) من قول أبي بكر محمد بن يحيى النديم « ان عدد الحمامات كان في ذلك الوقت ستين الف حمام ، ..... وذكر انه يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد . يكون ذلك ثلثمائة الف مسجد ، وتقدير ذلك أن يكون أقل ما يكون في كل مسجد خمسة أنفس ، يكون ذلك الف الف وخمسمائة الف انسان ..... » .

قلنا : معنى ذلك ان ما تضمه مساجد بغداد من الأنفس يوم ذاك ، يبلغ مليوناً ونصف المليون من الأنفس ، وهذا غاية في المبالغة والبعد عن الحقيقة . (٢) الطرازات جمع طراز « وهو الموضع الذي تُنسج فيه الثياب الجيدة . وهو معرّب » . راجع تاج العروس [٤ : ٤٨] . (٣) القوّام جمع قيم . والقيم على الأمر متوليه . (٤) السنن : الطريقة . يُقال استقام فلان على سَنن واحد أي على طريقة واحدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فرضنا عدة الحمامات ستين الف حمام ، فقد حصل عدد ما فيها من القوّام والمزينين والحجامين : ثلثمائة وستين الف انسان . ثم فرضنا بهذا التقريب لكل حمام مائتي منزل قياساً على ما حصل من المنازل على عدة الحمامات بمدينة أمير المؤمنين المنصور صلوات الله عليه ، وهو لكل حمام اربعمائة منزل ؛ واستظهاراً بأخذ النصف من ذاك ، فاجتمع من عدد المنازل على هذه الفريضة : اثنا عشر الف الف منزل[1] ثم وجدنا قد يجتمع في المنزل الواحد عشرون نفساً ، وفي غيره نفسان او ثلاثة ، وما هو أقل من ذلك واكثر ، فاحتجنا الى ان نفرض عدداً متوسطاً يعتدل به الأمر ، ويزول معه الشك ، فنقصنا من العشرين نصفها ، وزدنا على الثلاثة ضعفها ، وجمعنا ما بقينا وزدنا ، فكان : ستة عشر ، وأخذنا النصف فكان : ثمانية نفرٍ بين رجالٍ ونساءٍ وأكابر وأصاغر . فاجتمع لنا من عدد من تضمه هذه المنازل ستة وتسعون الف الف انسان[2] » . انتهى كلام يزدجرد بن مهمندار الفارسي[3] .

* * *

وعلق هلال الصابئ على كلام يزدجرد بن مهمندار ما يلي[4] : « ثم ركّب مصنف هذا الكتاب من هذه القاعدة قياساً ، فما يريده هذا العدد من الناس من أصناف المأكول ، والمستعمل ، واللباس . وحكى في عرض ما أورده ان عبيد الله الطاهري ، حدّثه ان اسحاق بن ابراهيم المصعبيّ ، أخبره انه رُفع اليه ان قدر ثمن ما يباع من الباقلي المطبوخ في كل يوم في احد جانبي بغداد ستون الف دينار . وحق ذاك ان يكون في الجانبين جميعاً مائة وعشرين الف دينار[5] ، الى غير هذا مما أورده وفصله ، واستقصى القول فيه ولخصه » .

---

(١) أي ١٢ مليون منزل ! (٢) أي ٩٦ مليون نسمة عدد سكان بغداد ! يا لهول المبالغة !
(٣) رسوم دار الخلافة (ص ١٩ — ٢٣ ؛ المخطوط) (٤) رسوم دار الخلافة (ص ٢٣ — ٢٤ ؛ المخطوط) . (٥) نظير هذا ما حكاه القاضي المحسن التنوخي (نشوار المحاضرة ١ : ٦٥ — ٦٦) . قال : « ... ولكن بالأمس في سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، لماضمن محمد بن احمد المعروف بترة ، بادوريا عمّرها وتناهى في ذلك ، فأحصينا وحصلنا ما زرع فيها من جربان الحس في هذه السنة وقدرنا بكلواذا وقطربل وقرب بغداد مما يحمل اليها من الحس على تقريب ، فكان الجميع الفي جريب ، وجدنا كل جريب حس يزرع فيه ستة أبواب ، يقلم من كل باب من الأصول كذا وكذا ، ولم أحفظه =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن بعد هذا أضاف هلال الصابئ الى ذلك قوله : « وانما أوردنا هذه الجملة من أمر بغداد مع خروجها عن الغرض الذي قصدناه ، لئلا يستكثر في دار الخلافة ما ذكرناه ، وحدثني ابراهيم بن هلال جدي : ان الحمامات أحصيت في أيام معز الدولة ، فكانت سبعة عشر الف حمام ، وانهم عجبوا من انتهائها الى هذه العدة ، مع كونها في أيام المقتدر بالله صلوات الله عليه : سبعة وعشرين الف حمام . ولقد عدت في أيام عضد الدولة فكانت : خمسة آلاف وكسراً . وفي ايام بهاء الدولة وسنة اثنتين وثمانين وثلثمائة فكانت : الفاً وخمسمائة حمام ونيفاً . وهي الآن مائة ونيف وخمسون حماماً . ولقد كنتُ أعجب من الحكايات المختلفة في ذلك ، وما كان يُقال قديماً فيه ؛ حتى قام عندي برهان منه ؛ وهو انه قد اتخذ بباب المراتب [1] المعمور في ثلاثين داراً مسكونة بعد ما أهله غيب عنه : خمسة عشر حماماً . فاذا كان ذلك في هذه الدور القليلة والعدة من الخواص القريبة ؛ فما كانت عدة خواص الناس في

= يكون بجريب كذا وكذا أصلاً ، وسعر الخس اذ ذاك على أوسط الأسعار : كل عشرين خسة بدرهم واحد ، فحصل لنا ان ارتفاع الجريب على أوسط الريع والسعر : ثلثمائة وخمسون درهماً ، قيمتها خمسة وعشرون ديناراً ، يكون لألفي جريب : خمسون الف دينار ، وكل ذلك يؤكل ببغداد . — فما ظنك ببلد يؤكل في فصل من فصول السنة صنف واحد من صنوف البقل بخمسين الف دينار . ثم قال لي القاضي (ونقلها الخطيب البغدادي الى مقدمته ، ص ٧٧) . أخبرني رجل يبيع سويق الحمص دون غيره من الأسوقة ، أسماه وأنسيته ، انه أحصى ما يتخذ في سوقه من سويق الحمص في كل سنة ، وكان مبلغه مائة واربعين كراً (يكون حمصاً مائتين وثمانين كراً) ، وانه يخرج في كل سنة منهم حتى لا يبقى منه شيء ، فاذا حال الحول طحنوا مثل ذلك . هذا وسويق الحمص غير طيب ، وانما تأكله الضعفاء والمتبطلون شهرين أو ثلاثة من السنة عند عدم الفواكه ، وأضعافهم مراراً . ان الناس من لا يأكل ذلك أصلاً ... »

(١) باب المراتب أحد أبواب دار الخلافة ببغداد ، كثير الورود التاريخي في معاجم البلدان وكتب التاريخ . قال فيه ابن عبد الحق الحنبلي (المتوفى سنة ٧٣٩ هـ) : (مراصد الاطلاع في اسماء الأمكنة والبقاع ١ : ١١٣ — ١١٤ طبع الفرنج) : « كان من أجل أبوابها وأشرفها ، له حاجب عظيم القدر ، نافذ الامر . داخله محلة كبيرة كان يسكنها الأكابر والتجار والأشراف ذوو البيوتات القديمة ، وكانت الدور بها غالية لها قيمة . ثم باد أهلها وانتقلوا عنها . فأما الآن فلم يبق لها قيمة ، وأرادوا أهلها بيعها فلم تشتر منهم ، فنقضوها وباعوا أنقاضها » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيام المعتضد بالله رحمة الله عليه ، من الوزراء والكتاب والحواشي والأصحاب والأمراء والقوّاد والأشراف والقضاة والشهود والتناء والتجار وأولي المروّات والأحوال الوافرات ، لتنقص عن خمسين الف إنسان ، إذا استظهرنا بالاقتصار على ذلك ، ولا تخلو دار كلّ واحد منهم من حمام على التقليل ، وإلا ففي دور كثير منهم الحمامات ، واذا اثبت هذا القول ، اطردت به تلك الدعوى ، ووجب ان يكون قول المكثر أغلب من قول المقتصر . ومعلوم أيضاً ان بلداً كانت على نهره الذي يخترقه ، أعني دجلة ثلاثة جسورة ، لا يستبعد كون ساكنيه العدّة المذكورة[1] » اهـ

(بغداد) ميخائيل عوّاد

(١) رسوم دار الخلافة (ص ٢٤ — ٢٦ ، المخطوط) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net